الواجب اتخاذها ازاء الصراع الفلسطيني ـ اليهودي وعلاقة ذلك بحماية قناة السويس والمحافظة على طريق الهند ، ـ هذه العوامل كلها كانت تدفع ببريطانيا الى ايفاد لجنة تحقيق الواحدة تلو الاخرى الى فلسطين بحثا عن أسباب الصعوبات والاضطرابات والتفتيش عن الحلول الممكنة · في العام ١٩٣٧ ، ولاول مرة ، يقترح تقرير « لجنة بيل » تقسيم فلسطين الى دولتين عربية واسرائيلية ودولة ثالثة تبقى تحت الحماية البريطانية وتضم القدس وشريطا يوصلها بالبحر · غير ان رفض العرب واليهود معا اقتراحات « لجنة بيل » ، دعى لجنة اخرى « لجنة هيد » ، للاستنتاج بعدم امكانية تطبيق مشروع بيل ، فطوي ·

الا ان بريطانيا لم تلبث ، وقد اقلقتها المشاعر العربية المعادية لها والمتعاطفة مع الالمان والاقتراب المتزايد لشبح الحرب ، ان حزمت أمرها ، فأصدرت في ايار ١٩٣٩ كتابا ابيض جديدا ارادت به حسم المشكلة · وبموجبه ، تبقى فلسطين محكومة من قبل الانكليز ، وتناقش مع الاطراف المعنية مسألة اصدار دستور خلال خمس سنوات ، ثم تنال فلسطين استقلالها خلال عشر سنوات · وسمح لـ ٧٥٠٠٠ يهودي بالهجرة الى فلسطين في السنوات الخمس القادمة ، وبعد ذلك تتوقف الهجرة على موافقة الاغلبية العربية · بيع الاراضي لليهود حد في بعض القطاعات ومنع في اخرى · وفلسطين لن تصبح ، كما يقول هذا الكتاب الابيض ، لا دولة عربية ولا دولة يهودية ·

والواقع ان هذه الدولة ثنائية القومية ، التي أرادتها بريطانيا ، لن يشكل اليشوف فيها سوى حوالي الثلث ، الامر الذي اثاره الى أقصى حد · وفي الوقت الذي انخرط فيه اليهود الى اقصى الحدود ، في الجيوش الحليفة ، في الصراع ضد النازية ، كانوا يعدون للمعركة مع بريطانيا · وما أن قاربت الحرب العالمية الثانية نهايتها ، حتى بدأت المنظمات الصهيونية اليمينية ، مثل « الارغون » و «ليجي » ، مدعومة بالرأي العام اليهودي في فلسطين ، اعمال الارهاب والاغتيال والانتقام ضد الانكليز · واخذت اعمال الارهاب هذه حجما اكبر بكثير عندما نزلت الهاغاناه الى الساحة عند انتهاء الحرب ، في نهاية ١٩٤٥ · وبالطبع ، بقي الفلسطينيون في موقف المتفرج والمنتظر ، مع ان الكتاب الابيض ، موضوع الصراع ، كان لصالحهم اجمالا ، وبخاصة في ظل ميزان القوى المحلي ، الفلسطيني ـ اليهودي ·

في هذه الاثناء ، كان ثمة عوامل عديدة اخرى تدفع بريطانيا الى مراجعة سياستها في فلسطين ، عوامل كانت هامة ولا شك ، ولكن تبقى الحرب اليهودية ضدها العامل الاكثر اهمية · في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، انطلقت موجة نزع استعمار واسعة ومتلاحقة في العالم ، فانسحبت بريطانيا من اليونان وبورما والهند ، واخذت سياساتها تستلهم بشكل خاص اعتبارات الحرب